درة الشعر

قصيدة الأستاذ على الجارم

لافتتاح الدورة الثالثة لمجمع اللغة العربية الملكى

ماذا طحا بك يا صنّاجة الأدب ... هلاّ شدوتَ بأمداح ابنةِ العرب
أطارَ نومَك أحداث وجمت لها ... فبت تنفخ بين الهم والوصب
واليَعْرُبيّةُ أندَى ما بعثتَ به ... شجوا من الحزن أو شدوا من الطرب
روح من الله أحيت كلّ نازعة ... من البيان وآتت كل مطلب
أزهى من الأمل البسّام موقعُها ... وجرسُ ألفاظها أحلى من الضَّرَب
وسَنّى بأخبيةِ الصحراء يوقظها ... وحى من الشمس أو من الشُهب
تُحدَى بها اليَعْمَلات الكوم إن لغبت ... فلا تحسّ بإضناء ولا لغب
تهتزّ فوق بحار الآل راقصة ... والنَّصب للنيب يحلو كربة النَّصَب
لم تعرف السوطَ الا صوتَ مرتجز ... كأن فى فيه مزمارا من القصب
تُصغى الى صوته الأطيار صامتة ... اذا تردد بين القُور والهُضُب
كأنه وظلامُ الليل يكنفه ... غثاءة قذفت فى مائج لجِب
قد خالط الوحش حتى ما يروّعها ... إذا تعرّض لم تنفر ولم تثب
يرنو بعين على الظلماء صادقة ... كأعين النَّسر أنى صوّبت تُصب
هو الحياة بقفر لا حياة به ... كالماء فى الصخر أو كالماء فى الحطب
يبيت من نفسه فى منزل خَضِل ... ومن شبا سيفهِ فى معقِل أشِب
يهتز للجود والمشتاةُ باخلة ... والقر يعقد رأس الكلب بالذنب
تهفو إليه بنات الحىّ معجبةً ... والحب ينبت بين العُجب والعَجب
إذا تنقبن إذ يلقينه خفرا ... فشوقهن إليـــه غير منتقب

تراه كل فتاة حين تفـــقده فى البدر والسيف والضرغام والسحب
زين الغناء إذا ما حل حبوته للقول لبّاه منـــه كل منتخب
أو هز شيطانه أوتارَ منطقه فاخش الأتىّ وحاذر صولة العَبَب
ما مسّ بالكف أوراقا ولا قلما ورأيه زينة الأوراق والكتب
يطير للحرب خِفًّا غير مدّرع فى شدة البأس ما يغنى عن اليلب
إذا دعاه صريخ كان دعوته وإن دعته دواعى الذعر لم يجب
لا ترهب الجارة الحسناء نظرته كأن أجفانه شدّت إلى طُنب

* * *

جزيرة أجدبت فى كل ناحية وأخصبت فى نواحى الخلق والأدب
جدب به تنبت الأحلام زاكية إن الحجارة قد تنشق عن ذهب
تود كل امرئ الأرض لو مُنحت أزهارُها قبلةً من خدها التربِ
وترتجى العيد لو كانت لآلئها نظما من الشعر أو نثرا من الخطب

* * *

ياجيرة الحرم المزهوّ ساكنه سقى العهود الخوالى كلُّ منسكب
لى بينكم صلة عزت أواصرها لأنها صلة القرآن والنسب
أرى بعين خيالى جاهليتكم وللتخيل عين القائف الدرب
وأشهد الحشد للشورى قد اجتمعوا ولست أسمع من لغو ولا صخب
من كل مكتهل، بالبرد مشتمل، للقول مرتجل، للهجر مجتنب
وألمح النار فى الظلماء قد نصبت لطارق الليل والجيران والسغب
نار ولكنها قد صُورت أملا بردا، اذا خابت الآمال لم يخب
رمز الحياة ورمز الجود مافتئت فوق الثنيّات ترمى الجوّ باللهب
يشبها أريحى، كلما هدأت ألقى على جمرها جزلا من الحطب
وأبصر القوم يوم الروع قد حشدوا للموت يجتاح، أو للنصر والغلب

يرمون بالشرّ شرّا حين يفجؤهم ورايهم فوقهم خفاقة العذب
وأحضر الشعراء اللسن قد وقفوا وللبيان فعال الصارم الذرب
أبو بصير له نبر لو اتخذت منه السهام لكانت أسهم النُّوب
إذا رماها كما يختار قافية دارت مع الفلك الدوّار فى قطب

* * *

وأغمض العين حينا ثم أفتحها على جلال بنور الحق مؤتشب
نور من الله هال القوم ساطعه وليس يحجب نور الله بالحجب
تكامت سور القرآن مفصحة فأسكتت صخب الأرماح والقضب
وقام خير قريش وابن سادتها يدعو إلى الله فى عزم وفى دأب
بمنطق هاشمى الوشى لو نسجت منه الأصائل لم تنصل ولم تغب
طابت به أنفس الأيام وابتهجت ومر دهر ودهر وهى لم تطب
وهزت الراسيات الشم وارتعدت لهوله الباترات البيض فى القرب
وأصبحت بنت عدنان بنفحته تيها تجرر من أذيالها القشب
فازت بركن شديد غير منصدع من البيان وحبل غير مضطرب
ولم تزل من حمى الاسلام فى كنف سهل ، ومن عزه فى منزل خصب
حتى رمتها الليالى فى فرائدها وخر ساطانها ينهار من صبب
وعاثت العجمة الحمقاء ثائرةً على ابنة البيد فى جيش من الرهب
يقوده كل ولاّغ أخى إحَنٍ مضمّخ بدماء العرب مختضب
لم يُبْقِ فيهـــا بناء غير منتقض من الفصيح وشملا غير منقضب
كأن عدنان لم تملأ بدائعهُ مسامع الكون من ناء ومقترب

* * *

مضت بخير كنوز الأرض جائحةٌ وغابت اللغة الفصحى مع الغيب
لولا فؤاد (أبو الفاروق) ما وجدت إلى الحياة ابنةُ الأعراب من سبب

أعزّ منها حمى ريعت كرائمه ... وكان ممنوعهُ نهبا لمنتهب
وردّ بالمجمع المعمور غربتها ... وحاطها بكريم العطف والحدَب
يا عصبةَ الخير للفصحي وشيعتها ... حباك صوبُ الحيا ياخيرةَ العصب
هلمّ فالوقت أنفاس لها أمد ... ولا أقول بأن الوقت من ذهب
فإنما المرء فى الدنيا إقامتهُ ... إقامة الطيف والأزهار والحبَب
الدهرُ يسرع والأيام معجلة ... ونحن لم ندر غير الوخد والخبَب
والمحدثات تسد الشمس كثرتها ... ولم تفز بخيال اسم ولا لقب
والترجمات تشن الحربَ لا قحة ... على الفصيح فياللويل والحرَب
تطير للفظ تستجديه من بلد ... ناء ، وأمثالهُ منا على كثَب
كمهرق الماء فى الصحراء حين بدا ... لعينه بارق من عارض كذِب
أزرى ببنت قريش ثم حاربها ... من لا يفرق بين النبع والغرَب
وراح فى حملة رعناء طائشة ... يصول بالخائبين : الجهل والشغَب
أنترك العربىّ السمحَ منطقه ... إلى دخيل من الألفاظ معتَرب
وفى المعاجم كنز لا نفاد له ... لمن يميز بين الدر والسخَب
كم لفظة أُجهدت بما تكررها ... حتى لقد لهثت من شدة التعب
ولفظة سجنت فى جوف مظلمة ... لم تنظر الشمسُ منها عين مرتقب
كأنما قد تولى القارظان بها ... فلم يؤوبا الى الدنيا ولم تؤُب
يا شيخة الضاد والذكرى مخلدة ... هنا يؤسس ما تبنون للعقب
هنا تخطُّون مجدا ما جرى قلم ... بمثله فى مدى الأدهار والحقَب

* * *

لبيك يا ملكَ الوادى ومنشئه ... يا حارس الدين والآداب والحسب
هذا غراسك قد ماست بواسقه ... تداعب الريحَ فى زهو وفى لعب
الملك فى بيتكم كسبا وموهبة ... يزهى على كل موهوب ومكتسَب

سفينة أنت مجريها وكالئها ... من الزعازع لا تخشى أذى العطب
وأمة أنت مجريها وحافزها ... فى حلبة السبق لا تبقى على القصب
وديعة الله صينت فى يدَىْ ملك ... لله مرتقب ، لله محتسب
بصيرةٌ كضياء الصبح لو لطمت ... غياهب الليل لم يظلم ولم يهب
وعزمة كحديد النصل لو طلبت ... زهر الكواكب نالت غاية الطلب
قد صممت فمضت عجلى لمقصدها ... تحثو التراب بوجه الشك والريب
فانظر ترى مصر هل تلقى لها مثلا ... فى صولة الملكِ أو فى قوة الأهب
فثروة من سَرِىٍّ العلم واسعة ... وثروة من سرىٍّ الجاه والنَّشَب
بنى فؤاد بناء الخالدين كما ... بنى الغطاريف من أبائه النُّجب
اذا الغمائم جافت مصر واحتجبت ... فان بر يديه غير محتجب
مَن مبلغ الغرْبِ أن الضاد قد بلغت ... بقرب صاحب مصرٍ أرفع الرتب
أعاد مجدا لهـــا مالت دعائمه ... فيا لها قربة من أعظم القرب
وحفها بسياج من عنايتـــه ... كما تحف جفون العين بالهدب
إن عقها أهل واديها وجيرتها ... فأنت أحنى عليها من أخ وأب
رأت برَبْعك عزّ الملك فانصرفت ... عن ذكر لبنى وذكرى ربعها الخرب
لا ذُدتَ بأكرم معوان لذى أمل ... ناءٍ ، وأشرف عنوان لمنتسب
عش للكنانة تبلغ أوج عزتها ... وللعلا والندى والعلم والأدب
وعاش فاروق نجما فى تألقـــه ... سعد السعود وفيه منتهى الأرب

على الجارم